تأليف أبي الفرج محمد بن اسحاق الوراق المعروف
بابن أبي يعقوب النديم

الفهرست
لابن النديم

(ت ٣٨٧ هـ)

٤٠٨/١ فؤاد
(١٢/١٨)

«وقد أضيفت إلى هذا الكتاب تكملة
قيمة لم تنشر قبل اليوم وكانت بين
الذخائر المصونة فى المكتبة التيمورية»

مع مقدمة شائقة عن حياة ابن النديم وفضل الفهرست

[حقوق الطبع محفوظة]

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى: شارع محمد على بمصر

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع نوبار باشا رقم ١٢

١٩٤٨
٩

مقدمة

في

﴿ التعريف بابن النديم وكتابه الفهرست ﴾

لم يكن التاريخ حاكما عادلا ، يمنح للناس شهرة بنسبة أعمالهم ، ويكافئهم على قدر استحقاقهم ، فهذا رجل جمع صحائف من أقوال غيره ولفقها تلفيقا فمنحه التاريخ ألقابا ضخمة وخلد له ذكرا مطولا فى بطون الصحائف ، وآخر كان نابغة حقا فى تفكيره وعمله ثم أهمله التاريخ فقل أن تجد له ذكرا ، أو تعرف له حياة مفصلة .

ولعل أصدق ماينطبق عليه هذا القول « ابن النديم » فكتابه « الفهرست » يدل على أنه كان رجلا فذا من نواحى مختلفة كما سنبينه ، ثم تبحث فى كتب التراجم عن حياته وعمله فلا تظفر من ذلك بشىء له قيمة — فابن خلكان لم يترجم له مع أنه ترجم لمن لا يعد شيئا إذا قيس به من تاجر ، ومالى ، وفقيه ومتصوف ومشعوذ ، وسفاك دماء . وصاحب « فوات الوفيات » لم يذكره فيما استدركه على وفيات الأعيان ، وأهمله كذلك أكثر كتب التراجم ، ومن ذكره منهم ترجم له ترجمة ناقصة لا تفى بالغرض كما فعل ياقوت فى كتابه « معجم الأدباء » فقد قال « محمد بن إسحق النديم ، كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب مصنف كتاب الفهرست الذى جوّد فيه واستوعب استيعابا يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه بجميع الكتب ، ولا أبعد أن يكون قد كان وراقا يبيع الكتب . وذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه صنف فى سنة ٣٧٧ وله من التصانيف : فهرست الكتب . كتاب التشبيهات . وكان شيعيا معتزليا »

هذا كل ماذكره ياقوت ، ولا نعرف من هذه الترجمة متى كان مولده ولا فى أى قطر كان ، وكيف كانت حياته ، ومانوع العلوم التى تعلمها ، وعمن أخذ ، ومتى توفى — وكل الذى نعرفه بعد هذا أن ابن النجار فى كتابه « ذيل تاريخ بغداد » قال إن ابن النديم « صنف كتاب الفهرست فى شعبان سنة ٣٧٧ ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ »

وقد يفهم من قول ابن النجار أنه ألف الكتاب فى شعبان سنة ٣٧٧ والذى يظهر أنه إنما يريد أنه أنهاه فى هذا الشهر من تلك السنة — وكل عمدة الذين يترجمون له بعد هذين النصين إنما هو على كتاب الفهرست نفسه وما يستنتج منه — والمتتبع للكتاب يرى أن المؤلف نص فى مواضع كثيرة على أنه ألفه سنة ٣٧٧ فيقول مثلا فى آخر المقالة الأولى « هذا آخر ماصنفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة ٣٧٧ ولكنا نجد أنه نص فى مواضع مختلفة على أشياء حدثت بعد هذا التاريخ فيقول فى ترجمة المرزبانى أنه توفى سنة ٣٧٨ . ويقول فى وفاة ابن جنى أنه مات سنة ٣٩٢ ووفاة ابن نباتة التيمى أنه مات بعد الأربعمائة — وهذا يخالف مخالفة تامة ما ذكره المؤلف من أنه ألفه سنة ٣٧٧ ومانقله ابن النجار من أنه مات سنة ٣٨٥ فالذى يظهر أن المؤلف كتب نسخته سنة ٣٧٧ وكان يترك فيها بياضا يملؤه بما يجده بعد ذلك أو يضع على النسخة تعليقات فى أزمنة مختلفة — يدل على ذلك قوله فى ترجمة المرزبانى « أن مولده فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٧ ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٧٧ ... وتوفى سنة ٣٧٨ » فظاهر أن الزمن الذى كتب فيه جملة « ويحيا إلى وقتنا هذا » غير الزمن الذى كتب فيه « وتوفى سنة ٣٧٨ » وظل يعمل فى نسخته هذه إلى أن مات . ثم كان العلماء بعده يتعاقبون عليه بالزيادات التى وجدت بعد هذا التاريخ . وقد طلب المؤلف نفسه ذلك ممن يأتى بعده من العلماء فيقول « وزعم بعض اليزيدية أن له (الحسن بن على)

نحواً من مائة كتاب، ولم نرها، فإن رأى ناظر فى كتابنا شيئا منها ألحقها بموضعها،

أما اسمه فيكاد يجمع من ينقل عنه ومن يترجم له على أن اسمه محمد بن إسحق وبعضهم يقول محمد بن النديم. وتارة يقولون قال ابن النديم . ويختلفون فى كنيته فبعضهم يكنيه أبا الفتح، وبعضهم يكنيه أبا الفرج ـ ومولده على ما يظهر فى بغداد فابن أبى أصيبعة فى كتابه «طبقات الأطباء» يقول «قال محمد بن إسحق النديم البغدادى فى كتاب الفهرست» ومن العسير تحديد مولده وكل الذى نعرفه أنه يقول فى ترجمة الصفوانى لقيته سنة ٣٤٦ فهو إذن كان يعيش فى هذه السنة وكان على الأقل شابا يستطيع أن يصف ما يلقى ويدون سنة لقياه بل أكثر من هذا يقول فى ترجمة البردعى «رأيته سنة ٣٤٠ وكان بى آنسا»

وقد ذكروا أنه كان وزاقا ويصفه بعض الكتب أيضا بأنه كان كاتبا وكلا الحرفتين أعانه على تأليف هذا الكتاب، فالوراقة كانت حرفة احترفها كثير من العلماء ووظيفتها انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها، فهذه المهمة كانت تقوم فى ذلك العصر مقام الطباعة فى عصرنا بل أكثر منها إذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت إشرافه ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه، وكان يقوم بهذا العمل أفراد ولكنه إذا اتسع كون ما نسميه الآن «بإدارة» وقد اشتهرت الوراقة فى عصر ابن النديم شهرة ذائعة، والكتب الذى نقلت فى عصره يدل جودة تصحيحها والعناية بها على مبلغ رقى هذه الصناعة، وقد اتخذ صناعة الوراقة كثير من الأدباء والعلماء ترجم لهم ياقوت فى «معجم الأدباء» بل كان ياقوت نفسه وراقا ينسخ الكتب ويبيعها وخلف مكتبة كبيرة انتفع بها ابن الأثير صاحب الكتاب الكامل فى التاريخ .

وأما الكتابة فكانت حرفة يحترفها طائفة من الناس وكانت تتطلب معرفة بفنون مختلفة من العلوم وسعة فى الاطلاع على النحو الذى ألف فيه

«صبح الأعشى» للقلقشندى، و«نهاية الأرب» للنويرى، هاتان الصناعتان الوراقة والكتابة مكنتا ابن النديم من سعة الاطلاع على النمط الغريب الذى نعرفه فى كتاب الفهرست، فهو مطلع على كل ما ألف باللغة العربية فى كل فن دينى أو فلسفى أو تاريخى أو أدبى، هذا إلى الدقة المتناهية فى تحرى الحق فما رآه يقول قد رأيته، وما سمعه ينص على أنه لم يره، ويخلى نفسه من تبعته .

وقد وردت عبارة فى كتاب الفهرست استنتج منها «الأستاذ فلوجل» أن ابن النديم كان فى القسطنطينية سنة ٣٧٧ وهى أنه ذكر عند الكلام «على مذاهب أهل الصين وشىء من أخبارهم» أنه لقى الراهب النجرانى الوارد من بلاد الصين فى سنة ٣٧٧ وكان قد مكث بها ست سنين ـ إلى أن يقول «فلقيته بدار الروم وراء البيعة فرأيت رجلا شابا حسن الهيئة قليل الكلام إلا أن يسأل فسألته ...الخ» وقد استنتج فلوجل أن دار الروم هى القسطنطينية، وأن البيعة هى الكنيسة الكبرى التى صارت فيما بعد مسجد أياصوفيا، وهو استنتاج غير صحيح لم يوافقه عليه المستشرقون واستظهروا أن المراد بدار الروم محلة كان يسكنها الروم فى بغداد، وبالبيعة بيعة لهم هناك كما سمى المصريون حارة من حارات القاهرة بحارة الروم، والدليل على هذا أنه يقول أن الجاثليق الكبير أرسل هذا الراهب إلى الصين ثم عاد بعد ست سنين، فالظاهر أن الجاثليق جاثليق بغداد، وأنه عاد أى إلى بغداد، وأن المقابلة كانت بها لا بالقسطنطينية .

والحق أن كتاب الفهرست ذخيرة لا تقدر غرضه أن يحصى جميع الكتب العربية المنقولة من الأمم المختلفة والمؤلفة فى جميع أنواع العلوم ويصفها ويبين مترجميها أو مؤلفيها، ويذكر طرفا من تاريخ حياتهم ويعين تاريخ وفاتهم فكان الكتاب على هذ النمط أجمع كتاب لإحصاء ما ألف الناس إلى آخر القرن الرابع الهجرى وأشمل وثيقة تبين ما وصل إليه المسلمون فى حياتهم العقلية والعلمية فى ذلك العصر وأكثر هذه الكتب التى وصفها قد ضاعت بتوالى

النكبات المختلفة على المملكة الإسلامية ولا سيما فى غزو التتار لبغداد ، ولولا كتاب الفهرست لضاعت أسماؤها وأوصافها أيضاً كما ضاعت معالمها .

والناظر فى كتاب الفهرست يعجب لهذا النشاط العلمى الذى كان فى العصر العباسى وكثرة المؤلفين والمترجمين فى جميع نواحى العلم كما يعجب بسعة اطلاع ابن النديم وحبه الوقوف على كل شىء حتى فى أدق مسائل الأديان المختلفة والمذاهب المتنوعة ، يفصل مذهب «مانى ومزدك» كما يفصل مذهب أبى حنيفة والشافعى ، ويستقصى البحث عن أحوال الصين والهند كما يستقصى البحث عن الشام والعراق وهو فى كل ذلك يقابل أصحاب النحل المختلفة ويسائلهم ويدقق فى أخبارهم ثم يدون ما سمع .

لذلك كان الكتاب — بحق — مرجع كل باحث من مسلمين ومستشرقين ، كان عمدة : ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء والقفطى فى أخبار الحكماء ، وجرجى زيدان فى تاريخ التمدن الإسلامى ، والأستاذ « خولسن » فى بحثه عن الصابئة ، والأستاذ فلوجل فى بحثه عن «مانى» ولا يزال مورداً لا ينضب لكل منقب وباحث

وللمؤلف أسلوب فى كتابته غريب قل من احتذاه من المؤلفين ، وهو أسلوب اقتصادى يكره اللغو والمقدمات والإطالة فى أداء المعنى ويحب أن يندفع إلى صميم الموضوع ابتداء من غير مواربة ولا تمهيد ، وخير نموذج لذلك فاتحة كتابه إذ يقول «رب يسر برحمتك» النفوس — أطال الله بقاءك — تشرئب إلى النتائج دون المقدمات ، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل فى العبارات ، فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات فى صدر كتابنا هذا إذ كانت دالة على ماقصدنا فى تأليفه ، ثم يحصر ما يريده من أبواب الكتاب ويأخذ فى الكلام فى دقة وإيجاز حتى لا تستطيع أن تحذف جملة لأن معناها مكرر أو عبارتها مترادفة .

ثم هو صادق يتحرى الصدق ، ويميز بين ما رأى وما لم ير ، وينقل كل ذلك

إلى القارئ فى أمانة تستدعى الإعجاب — لم يحاول ابن النديم أن يزوق عبارته ويصقلها حسبما تقتضيه قوانين البلاغة ، ولكنه استطاع أن يؤدى ما يريد فى ضبط وإحكام .

ومما يستدعى الأسف أن جميع النسخ التى وصلت إلينا من هذا الكتاب معيبة ، فبعضها ناقص أجزاء وبعضها به بياض فى جملة مواضع ، وبعضها به تحريف كثير — وقد طبع الكتاب فى ليبسك سنة ١٨٧٢ وقد اعتمدوا فيها على نسخة فى مكتبة باريس ونسخة فى مكتبة كوبر لى بالآستانة ونسختين فى فينا ونسخة فى ليدن وهذه النسخ مع كثرتها لم يستطع المصحح أن يستخرج منها نسخة صحيحة كاملة ، ومن تلك السنة سنة ١٨٧٢ إلى الآن لم يعد طبعه مع حاجة العلماء والباحثين إليه ، حتى هيأ الله له « الحاج مصطفى محمد » صاحب المكتبة التجارية الكبرى فبذل جهده فى طبعه وعرضه فى هذا المعرض القشيب من الجودة والإتقان فله الشكر على عنايته بنشره وتعميم الانتفاع به . وفقنا الله جميعاً لصالح الأعمال ؟

---

[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب يسر برحمتك »

النفوس ـ أطال الله بقاءك تشرئب إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل فى العبارات فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات فى صدر كتابنا هذا إذ كانت دالة على ماقصدناه فى تأليفه إن شاء الله . فنقول وبالله نستعين وإياه نسأل الصلاة على جميع أنبيائه وعباده المخلصين فى طاعته ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

هذا فهرست كتب [جميع الأمم من العرب والعجم] الموجود منها بلغة العرب وقلمها [فى أصناف العلوم] وأخبار مصنفيها [وطبقات مؤلفيها] وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم [وأوقات وفاتهم] وأماكن بلدانهم ومناقبهم [ومثالبهم] منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة .

اقتصاص ما يحتوى عليه الكتاب وهو عشر مقالات

(المقالة الأولى) وهى ثلاثة فنون : —

الفن الأول : فى وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها .

الفن الثانى : فى أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذاهب أهلها .

الفن الثالث : فى نعت الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأسماء الكتب المصنفة فى علومه وأخبار القراء وأسماء رواتهم والشواذ من قراءتهم .

(3)

(المقالة الثانية) وهى ثلاثة فنون فى النحويين واللغويين : —

الفن الأول : فى ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم .

الفن الثانى : فى أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين وأسماء كتبهم

الفن الثالث : فى ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم .

(المقالة الثالثة) وهى ثلاثة فنون فى الأخبار والآداب والسير والانساب : —

الفن الأول : فى أخبار الأخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم .

الفن الثانى : فى أخبار الملوك والكتاب والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم .

الفن الثالث : فى أخبار الندماء والجلساء والمغنيين والصفادمة والصفاعنة والمضحكين وأسماء كتبهم .